القصة الثانية

ووصف مؤلف كتاب: معجزة فوق الرمال، ص (٣٢٨/ ٣٣٠) قصة اكتشاف النَّفْط في المملكة العربية السعودية، ما نصه:

"سلخ بطل الجزيرة العربية المغفور له الملك عبدالعزيز ثلاثين عامًا من حياته حتى استطاع أن يعلن في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٣٢م (٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ) قيام المملكة العربية السعودية دولة مستقلة ذات سيادة، تناهز مساحتها المليونين ونصف المليون من الكيلو مترات المربعة.

وعلى الرغم من أن هذا الحدث يعتبر بحد ذاته ظاهرة فريدة في التاريخ، لأنه لم يسبق لإنسان واحد في الدنيا أن خرج من منفاه مع عشرين شخصًا ووفّق إلى إقامة دولة من العدم في مناطق لم تعرف قيام دولة بالمفهوم الحديث في كل تاريخها الطويل، فإن قيام هذه الدولة في حدِّ ذاته قد خلق أمامه متاعب ومصاعب ومعضلات لا حدّ لها، كان من أولها أن هذه الدولة الجديدة لم يكن لها من الموارد ما تستطيع معه أن تبقي على وجودها، فكيف بتطوير شعبها ورفع مستواه وإيجاد موارد جديدة له لتوفير كل ما تحتاج إليه، بما في ذلك ماء الشرب، والطعام، والمسكن، والملبس، بالإضافة إلى الإنفاق على أجهزة الدولة وجيشها؟

لقد كان المورد البارز للدولة الجديدة مورد الحجيج، وهو مورد سنوي، لا يسمن ولا يغني من جوع لأنّه لم يكن يدر على الدولة أكثر من مائة ألف جنيه سنويًا. ومع ذلك فقد كان من سوء حظ الدولة الجديدة أن ولادتها صادفت ظهور موجة الكساد الأكبر في العالم وما رافقه من أزمة اقتصادية خانقة، فتأثر هذا المورد الضئيل تأثرًا انخفض معه عدد الحجيج انخفاضًا محسوسًا، ثم أخذ هذا الهبوط يشكل تدهورًا سريعًا، حتى بلغ عدد الحجاج زهاء أربعين ألف حاج فقط في عام إعلان قيام المملكة. وكان من الطبيعي أن ينجم عن هذا النقص المفزع في الموارد تدهور مفزع في سعر العملة السعودية، مما جعل حلقات الأزمة تشتد وتستفحل، وجعل العاهل الكبير يغتم ويحسُّ بالضائقة المستحكمة في عام نصره العظيم.

"همس الملك عبدالعزيز بمتاعبه وضائقته أمام بعض الخلص من صحبه، فهمسوا بالمقابل في أذنه أن في أرض المملكة التي أنشأها لأول مرة ثروات معدنية إذا كشف عنها تبدلت الأرض . . . والناس، واستحال الفقر غنى، والعدم ثروات تعين على النمو والتطور والنهوض، وأشاروا بصورة خاصة إلى البترول الذي كان قد اكتشف حديثًا في إيران، وكيف أصبح يدرّ على هذه الدولة ملايين الجنيهات سنويًا.

ولكن كيف السبيل إلى الوصول للبترول أو غيره من الثروات الدفينة في تراب المملكة الجديدة، إذا كان هنالك بترول وثروات معدنة دفينة؟

قيل للعاهل السعودي يومها: أن ثريًا أميركيًا يطوف الآن ببعض العواصم العربية، وهو معروف بحبه للعرب، وراغب بتقديم مساعدات

لهم، ولا سيما في حقل التعدين، وإنه قدَّم بعض الخبراء الجيولوجيين لليمن، وإنه يسعده كثيراً أن يضم اسم بطل الجزيرة العربية إلى قائمة الملوك والرؤساء الذين تشرف بمقابلتهم في العالم، فإن وافقت على تحديد موعد له جاءك دون تأخير، فاستمع منك وأشار عليك، وربما أعانك على اكتشاف ما في مملكتك من ثروات وكنوز.

وكان أن وافق الملك عبدالعزيز على استقبال المستر "كراين"، رجل الأعمال الأميركي الكبير، حتى إذا دار الحديث بينهما، أعجب ابن ناطحات السحاب ببطل الصحراء إعجاباً لا مزيد عليه. وأراد أن يعبر عن إعجابه هذا بتقديم مهندس جيولوجي مغامر له على نفقته ليقوم ببعض الدراسات الأولية واصفًا إياه بأنه خبير مجرب في التعدين، سبق أن استخدم في الحبشة واليمن. فلما أقر جلالته الفكرة، وصل المستر "تويتشل" إلى المملكة الجديدة دون إبطاء، وبدأ بالتنقيب عن كنوز الجزيرة العربية.

ويضيف المؤلف: أكد "تويتشل" الخبير الجيولوجي الأمريكي وجود البترول في الأحساء، والذهب في الحجاز، بعد أن كان خبراء التعدين البريطانيون قبل ذلك بسنوات قليلة قد نفوا أ صلاً وجود بترول في أرض الدولة الجديدة، وتنازلوا حتى عن امتياز كان قد أعطي لهم بالتنقيب من قبل انتهاء أجله، وامتنعوا عن دفع ستة آلاف جنية من الذهب استحقت عليهم تنفيذاً لشرط من شروطه.

وما إن شاع في العالم الأمل المشرق بالعثور على البترول في مملكة الصحراء، حتى سعت شركة أميركية للحصول على امتياز للتنقيب، فانبرت

لها شركتان بريطانيتان منافستان، ولكن شركة "استاندارد أويل أوف كاليفورينا" الأمريكية كانت هي التي ربحت الجولة لأن الشركة البريطانية الأولى - شركة البترول الشرقية العمومية - صاحبة الامتياز الأول في التنقيب لم تشأ أن "تغامر" في دفع الآلاف الستة من الجنيهات الذهبية التي كانت في ذمتها لحكومة الرياض كشرط مسبق لقبولها في عداد الشركات المتنافسة، كما أن الشركة البريطانية الثانية - شركة نفط العراق - رفضت أن تدفع مقدمًا للدولة المضيفة "سلفة" تزيد على عشرة آلاف جنيه ذهبي تُحسب على حساب حصتها في الإنتاج المقبل. . فلما أقرت شركة، "استاندارد أويل أوف كاليفورنيا" الأمريكية أن ترفع هذه السلفة إلى خمسين ألف جنيه ذهبي وأن تتبعها بقرض قدره (٥٠) ألف جنيه ذهبي أخرى عند اكتشاف البترول بكميات تجارية، أعطي لها امتياز التنقيب، ووقع عقد في أيار ١٩٣٣م (١٣٥٢هـ) وفقًا للشروط المتناهية في السخاء التي كانت الشركات البريطانية تحصل عليها في منطقة الشرق الأوسط آنذاك".